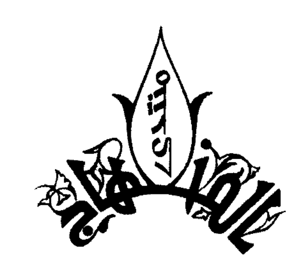


بدايات الانشقاق الزيدي في التاريخ الشيعي

قراءة في الوثائق والروايات

أ. محمد النوري(*)
ترجمة: محمد عبدالرزاق

تمهيد

يتـزعم زيد بن علي ـ المعروف بزيد الشهيد ـ واحدة من أهم الفرق الشـيعية، وهو ابن الإمام زين العابدين عليه السلام، ولد سنة ٧٩ واستشهد ١٢٢هـ[١]. ويتكون التشـيع من ثلاث فرق أصلية هي الإمامية (الاثنا عشرية)، والإسـماعيلية، والزيديـة، والزيديـة هي من أكبر المكونات الشيعية بعد الاثني عشرية.

أخذ المذهب الزيدي ينمو منذ مطلع القرن الثاني، وسرعان ما اتسـعت رقعتـه الجغرافية لتهيمن على مناطق من إيران واليمن وشمال إفريقيـا خـلال القـرن الثالـث الهجري، فحظي في هذه المناطق باستقبال واسع، حتّى إنه كان سابقاً للمذهب الاثنـي عشري في شمال إيران وخراسان[٢].

ولطالما كانت الحركة الزيدية مثار اهتمام علماء الإمامية رصداً لأبعـاد الزيديـة والزيديين على مرّ التاريخ[٣].

ومن أهم المباحث المرتبطة بهذه الفرقة هي مرحلة التبلور والتكـوين للإمامـة الزيدية، وتأسيس هذا المذهب بزعامة زيد بن علي، وقد ورد ذكر زيد بن علـي فـي العديد مـن روايـات الإماميـة، وحققـت مـن قبـل المحـدثين والرجـاليين والفقهـاء والمتكلمين لترسيم الملامح الأولية لموقف الإمامية تجاه زيد من جهـة، وبيـان كيفيـة تشعب الزيدية عن الشيعة الإمامية من جهة أُخرى، فكانت تلـك الدراسـات الفقهيـة

(*) باحث في الحوزة والجامعة، ومشرف وكاتب في العديد من الموسوعات الإسلامية، من إيران.

والكلامية النواة الأُولى لبلورة الفكرة العلمية المنهجية للمذهب الزيدي، ولعلّ جلّ تلك الآراء والأفكار جاءت نتيجة لمناظرات الزيديين مع أئمة المسلمين، والواقع أن تلك الروايات تمثل مقطعاً من تاريخ الكلام الشيعي ومؤشراً على بداية أزمة حقيقية في المذهب.

وللعلاّمة المجلسي ـ في بحار الأنوار ـ دور في سرد الرؤية الإيجابية عند الإمامية تجاه الفرقة الزيدية من خلال جمع الروايات المتعلّقة بها والتعليق عليها، آملين أن تكون مثل هذه المبادرات عوامل في التقريب بين هاتين الفرقتين الشيعيتين، إفشالاً لبعض المخططات الرامية إلى بثّ الفرقة والتكفير من الجانبين[٤].

لقد جمع المجلسي العديد من الأخبار المرتبطة بزيد والزيديين في الباب الحادي عشر من تاريخ الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام[٥].

هذا بالإضافة للروايات الأُخرى الموزّعة في سائر الأجزاء والمواضيع[٦].

وتتمحور المباحث المتعلقة بزيد بن علي في العناوين التالية: ـ مدح زيد والثناء عليه. ـ نهيه عن الثورة. ـ دور الأئمة في دعم الثوار وذوي الشهداء. ـ مناظرات العلماء مع الزيديين. ـ بيعة الناس لزيد واتّباعه. ـ التنبؤ باستشهاده. ـ الحوادث التي أعقبت الاستشهاد. ـ إنعكاسات ثورته. ـ رأيه في مفهوم الإمامة.

أما مصادر المجلسي في نقل تلك الروايات فهي: المناقب، كشف الغمة، أمالي الصدوق، عيون أخبار الرضا، مقتضب الأثر، الاحتجاج للطبرسي، الاختصاص، قرب الإسناد، ثواب الأعمال، إرشاد المفيد، رجال الكشي، الكافي، مصباح الكفعمي. وغالباً ما يعلق المجلسي في ذيل الروايات المنقولة.

سيرة زيد بن علي

نشأ زيد بالمدينة في محيط تربوي يضم كلاً من والده الإمام السجاد عليه السلام، وأخيه الإمام الباقر عليه السلام، وابن أخيه الإمام الصادق عليه السلام، فنهل من مختلف العلوم والمعارف، وقد نقلت عنه أحاديث كثيرة في مصادر الشيعة كالكافي، وينسب إليه أكثر من عشرة آثار مدونة في علوم الفقه والكلام والتفسير والحديث[٧]. وقد تتلمذ

عليه العديد من الأسماء البارزة، كأبي حنيفة. ويحظى زيد ـ علاوة على المكانة العلمية ـ بمنزلة أخلاقية عالية بين أهل مجتمعه.

كان عصر زيد بن علي مصاحباً لسطوة الأُمويين المطلقة، وخلافة هشام بن عبدالملك بن مروان (مدة حكومته ١٠٥ ـ ١٢٥هـ) الذي عرف بالفسق والمجون. وبما أنه كان مخالفاً للحكم الأُموي المستبد، لذا كان يمثل جبهة إعلامية مناهضة للولاة الأُمويين، حتّى أواخر صفر وأوائل محرم سنة ١٢١ أو ١٢٢، فدارت حرب من الكر والفر بين أتباعه وجيش يوسف بن عمر الثقفي ـ المكلف من قبل هشام بقمع حركة زيد ـ انتهت باستشهاده[٨].

وقد جمع فؤاد سزگين المصادر والمراجع المرتبطة بتواريخ زيد الشهيد[٩]، وهناك أيضاً كتابات وآثار أُخرى لابن بابويه القمي، وإبراهيم بن محمد الثقفي، والجلودي، والصاحب بن عباد حول زيد والزيدية[١٠]. وقد خصصت بعض كتب الشيعة الروائية أبواباً بأخبار زيد الشهيد[١١].

ووصفته روايات بحار الأنوار بالكرم والعفو[١٢]، وأنه سيد أهل البيت والآخذ بثأرهم[١٣]، وقد نصّت روايات أُخرى على أنه من الوافدين على الجنة من دون حساب[١٤]، فلُقِّب هو وأتباعه بالشهداء، وشُبِّه بالإمام عليّ عليه السلام وأصحابه أيضاً[١٥].

يروى في حادثة زيد بن موسى بن جعفر عليه السلام في البصرة أنه عندما اعتُقل وأُحضر عند المأمون، وهب المأمون جرمه لأخيه عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، وقال له: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل، لقد خرج قبله زيد بن علي فقُتل، ولولا مكانك مني لقتلته، فليس ما أتاه بصغير، فقال الرضا عليه السلام: «... لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي عليه السلام فإنه كان من علماء آل محمد، غضب الله عزَّ وجلَّ فجاهد أعداءه حتّى قتل في سبيله»[١٦].

وقد نصّت جملة من الروايات على أنّ هدفه من الخروج هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثأر لدماء الحسين عليه السلام[١٧]. والأخبار بشهادته كثيرة، منها رواية معمّر:

«كنت جالساً عند الصادق عليه السلام فجاء زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام فأخذ

بعضادتي الباب، فقال له الصادق عليه السلام: يا عمّ أُعيذك بالله أن تكون المصلوب بالكناسة، فقالت له أُمّ زيد: والله ما يحملك على هذا القول غير الحسد لابني، فقال: يا ليته حسداً ـ ثلاث مرات ـ ثم قال: حدثني أبي عن جدي أنه يخرج من ولده رجل يقال له زيد، يقتل بالكوفة، ويصلب بالكناسة، يخرج من قبره نبشاً[١٨].

وهكذا في رواية حمزة بن حمران حيث استعرض فيها خبر الاستشهاد وما يعقبه من حوادث[١٩]، وهناك رواية أُخرى أيضاً فيها تفصيل مسهب حول هذه الحوادث[٢٠].

وقد نقل المجلسي في بحاره روايات في ذم زيد بن علي ونهيه عن الخروج، منها:

عن داود الرقّي قال: دخلت على الصادق فقال: «ما الذي أبطأ بك عنا يا داود؟» فقلت: حاجة عرضت لي بالكوفة هي التي أبطأت بي عنك، فقال لي: «ماذا رأيت بها؟» قلت: رأيت عمك زيداً على فرس ذنوب قد تقلّد مصحفاً وقد حفّ به فقهاء الكوفة، وهو يقول: يا أهل الكوفة إني العلم بينكم وبين الله تعالى،... وبعد إشارة إلى تنصيب الأئمة الاثني عشر قال الصادق: «.. فأين يتاه بزيد ويذهب به؟! إنّ أشدّ الناس لنا عداوة وحسداً الأقرب إلينا فالأقرب»[٢١].

ويلاحظ في هذا الحديث طعن الإمام في زيد وذمه له.

وعن الصادق ـ أيضاً ـ قال له: «لا تفعل فإني أخاف أن تكون المقتول... أما علمت يا زيد أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد السلاطين قبل خروج السفياني إلاّ قتل»[٢٢].

وينقل المجلسي عن الكشي قول آخر للصادق عليه السلام، جاء فيه: «رحم الله عمّي زيداً، ما قدر أن يسير بكتاب الله ساعة من نهار»[٢٣].

ثورة زيد بن علي

هناك جملة من الروايات التي تحدثت عن خروج زيد ومشروعيته وتداعيات ثورته منها:

عن أبي عبدالله السياري، عن رجل من أصحابه قال: ذُكر بين يدي أبي

عبدالله عليه السلام من خرج من آل محمد، فقال عليه السلام: «لا أزال وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد، ولوددت أن الخارجي من آل محمد خرج وعليّ نفقة عياله»[24].

وعن محمد الحلبي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ آل أبي سفيان قتلوا الحسين ابن علي فنزع الله ملكهم، وقتل هشام زيد بن علي فنزع الله ملكه، وقتل الوليد يحيى ابن زيد فنزع الله ملكه»[25].

وعن ابن سيابة قال: دفع إليّ أبو عبدالله الصادق عليه السلام ألف دينار وأمرني أن أُقسمها في عيال من أُصيب مع زيد بن علي عليه السلام[26]. وروى ذلك أبو خالد الواسطي قال: سلّم إليّ أبو عبدالله ألف دينار وأمرني أن أُقسمها في عيال من أُصيب مع زيد[27].

وهذه النصوص تشير ـ بالطبع ـ إلى تأكيد الإمام على خروج زيد والاهتمام به.

فثمة تباين في الأحاديث المؤيدة لخروج الناس ودعمهم في ذلك، إذ إنّ من الروايات ما ينهى عن الخروج ويبطل شرعيته، من قبيل: رواية مؤمن الطاق بسندها الصحيح[28].

حيث يروى أنّ زيد بن علي بعث إلى مؤمن الطاق وهو مختف قال: فأتيته، فقال لي: ما تقول إن طرق طارق منا أتخرج معه؟ قال: قلت له: إن كان أبوك وأخوك خرجت معه. ولامَ على زيد أمره. ثم يذكر مؤمن الطاق وفوده على الصادق وإخباره بمقالة زيد، فعضد موقفه[29].

ولعلّ هذا هو السبب في رجوع أهل الكوفة عن بيعة زيد وتخليهم عنه في حربه مع هشام[30].

وقد رأى البعض في تعليق الصادق على كلام مؤمن الطاق تأييداً لذيل حديثه الداعم لمبدأ الإمامة، دون أن يكون فيه تعارض بين موقف الإمام ورؤية زيد[31]، وهناك من نفى الأخذ بهذه الرواية من قبل علماء الشيعة[32]، حيث نصّت روايات الإمام الأُخرى على ضرورة دعم زيد في حركته ومناصرته.

فروي عن الباقر عليه السلام أنه قال: «ليقتلن من ولد الحسين رجل يقال له زيد بن علي... من نظر إلى عورته فلم ينصره أكبّه الله على وجهه في النار»[٣٣]. ثم ذكر عليه السلام أن جزاء من يعينه هو الشفاعة ودخول الجنة[٣٤].

ورداً على سؤال وجهه زيد لزرارة قال فيه: ما تقول يا فتى في رجل من آل محمد استنصرك؟ فقال: إن كان مفروض الطاعة نصرته، وإن كان غير مفروض الطاعة فلي أن أفعل ولي أن لا أفعل[٣٥].

يروى أيضاً أنّ الصادق عليه السلام قال لأبي ولاد الكاهلي: «رأيت عمي زيداً؟ قال: نعم رأيته مصلوباً، ورأيت الناس بين شامت حنق، وبين محزون محترق، فقال: أمّا الباكي فمعه في الجنة، وأمّا الشامت فشريك في دمه»[٣٦].

الإمامة وخطر الانشقاق

أكّدت بعض روايات البحار على إقرار زيد بالإمامة، بينما نقل البعض الآخر صورة مشككة له ولأتباعه في إمامة الشيعة، فجادلوا في جملة من المواضيع من قبيل: صفات الإمام، وعدم شرعية الإمام الجالس وترجيح إمامة الإمام القائم.

يروى عن عمرو بن خالد قال: قال زيد بن علي بن الحسين: في كل زمان رجل من أهل البيت يحتج الله به على خلقه وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه[٣٧].

ويقول زيد في (الحقوق): حق الله على عبده في أئمة الهدى: أن ينصح لهم في السر والعلانية، وأن يجاهد معهم، وأن يبذل نفسه دونهم[٣٨].

وعن يحيى بن زيد قال: سألت أبي عن الأئمة، فقال: الأئمة اثنا عشر، وتلا أسماءهم عليه[٣٩].

وعن الرضا عليه السلام نقلاً عن الصادق عليه السلام قوله: «رحم الله عمي زيداً، إنه دعا إلى الرضا من آل محمد... وقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك»[٤٠].

ولهذه الرواية تكملة لافتة في حوار الإمام مع المأمون، حيث قال للإمام: أليس

قد جاء فيمن ادعى الإمامة بغير حقها ما جاء؟ فردّ الرضا عليه السلام: «إنّ زيداً لم يدّعِ ما ليس له بحق، إنه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وإنّما جاء ما جاء فيمن يدّعي أنّ الله نصّ عليه»(٤١).

إنّ دعوة زيد للرضا من آل محمد كانت عاملاً مهماً في التفاف الشيعة حوله ومبايعتهم له، وإن كان هناك من توهّم دعوته لنفسه، ولم يكن يريدها(٤٢)، لمعرفته باستحقاق أخيه الإمامة من قبله ووصيته عند وفاته إلى أبي عبدالله عليه السلام، وهذا دليل على اعترافه بأصل الإمامة.

وكان هشام يحاول بثّ مثل هذه الإشاعة عندما قال له: أنت المؤهِّل نفسك للخلافة، الراجي لها؟ وما أنت وذاك لا أُمّ لك، وإنّما أنت من أمَة، فقال له زيد: إني لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند الله من نبي بعثه وهو ابن أمة، وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام(٤٣).

وسأل زيديّ الشيخ المفيد، فقال: بأي شيء استجزت إنكار إمامة زيد؟ فقال: إنك قد ظننت عليّ ظناً باطلاً، وقولي في زيد لا يخالفني فيه أحد من الزيدية.. وأقول: كان إماماً في العلم والزهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنفي عنه الإمامة الموجبة لصاحبها العصمة، والنصّ، والمعجز، فهذا ما لا يخالفني عليه أحد(٤٤).

وتنص عقيدة الزيديين على تعيين الأئمة الثلاثة الأول من قبل الرسول بنصّ خفي لا جلي، وهم الإمام عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، وكان يقع على عاتق الأُمّة البحث والتحقيق عن ذلك النصّ بغية كشف الحقيقة والوصول إليها، أمّا التقاعس عن ذلك فهو المذموم عندهم، وذهبت بعض جناحات الزيدية ـ كالجارودية ـ إلى تكفير وارتداد المقصرين في الكشف عن دليل بيعة الخليفة الأوّل.

أما بالنسبة لسائر الأئمة، فقد قالوا بتعيينهم بالشورى أو برأي أهل الحلّ والعقد. نعم، هم لا يقطعون بشرعية كل معين بهذه الطريقة إلاّ أن تتوفر فيه صفات العلم والزهد والشجاعة، وانتسابه لولد فاطمة، وخروجه على الظالم.

وتسمّى نظريتهم في الأئمة الثلاثة بالتنصيب والتسمية، وفي غيرهم بالوصف. وعندهم أنّ زيد بن علي هو أول من عُيِّن إماماً بالوصف، وهم لا يقولون بعصمة

هؤلاء الأئمة[٤٥]. ومن هذا تظهر حكمة الشيخ المفيد في جوابه المتقدم.

لقد نصّت العقيدة الزيدية على اشتراط الخروج في الإمام، وهو ما نجده منعكساً في رواية أبي الصباح، حيث يُروى أنه دخل على زيد فقال له: يا أبا الحسين بلغني أنك قلت: الأئمة أربعة، ثلاثة مضوا، والرابع هو القائم. قال زيد: هكذا قلت، فحاججه أبو الصباح بإمامة الباقر عليه السلام، ولما بلغ هذا الكلام الإمام الصادق عليه السلام أشكل على مصداق الخرج وناقش مفهومه[٤٦].

ويشرح المجلسي قول زيد فيقول: ثلاثة مضوا، لعله لم يعد علي بن الحسين عليه السلام منهم؛ لعدم خروجه مستقلاً بالسيف، أو يكون المراد الأئمة بعد أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى هذا لا يكون كلام زيد نافياً لإمامة الباقر[٤٧].

ولزيد عبارة أُخرى أكثر دلالة على المراد قال فيها: جعفر إمامنا في الحلال والحرام[٤٨].

ثم هناك روايات أُخرى تظهر وجهة نظر الناس الجانحة نحو الإمام الشاهر لسيفه والخارج على الحاكم الظالم، ونبذ الإمام المستكين والمرخي عليه ستره كما تعبر بعض النصوص[٤٩].

إنّ غالبية الروايات المنقولة في حق زيد جاءت عن طريق عمرو بن خالد وأبي الجارود، وهما من كبار رؤساء الزيدية[٥٠]. بينما جاءت رواية شرب زيد للنبيذ عن طريق سعيد بن منصور وهو من كبارهم أيضاً[٥١].

كان من جملة نشاطات الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، آنذاك الرد على شبهات الزيدية، وأهمها اعتراضهم على عدم خروج الإمامين عليهما السلام[٥٢].

يذكر أنّ مبحث الإمامة كان مثار اهتمام العامة والخاصّة إبان هذه الحقبة التاريخية، فبينما كان قسم من الشيعة الموالين للإمام الباقر والصادق على عقيدة راسخة بإمامتهما وعلو شأنهما، كان هناك قسم آخر يعترض على تريث الإمام وسكوته الظاهري على الظروف السائدة، وطالب بالخروج المسلح وحمل السيف تحت أية شروط، هؤلاء هم أتباع حركة زيد سنة ١٢٢هـ اتصلوا بالفرقة الحسنية بزعامة عبدالله ابن الحسن (١٤٥هـ) من أحفاد الإمام الحسن عليه السلام، وتزعّم من بعده

هذا التيار محمد ابن عبدالله صاحب النفس الزكية، وقد التحق به عدد لا بأس به من المنشقين عند خروجه سنة ١٤٥هـ وتمكنوا من السيطرة على المدينة وعرّضوا الإمام الصادق هناك للمضايقة الشديدة لرفضه مساندتهم[٥٣]. ومع أنّ هذه الحركة آلت بالفشل أيضاً، إلاّ أنّ فلولها لم تستجب للإمامية، وإنما مضوا في تعزيز تجمعهم وأساليبهم ليكونوا من ذلك الأساس الأول لكيان الزيدية.

يعلق المجلسي على الحديث رقم (٧٢) فيقول:

«إن قال قائل: فزيد بن علي عليه السلام إذا سمع هذه الأحاديث من الثقات المعصومين وآمن بها واعتقدها، فلمَ خرج بالسيف وادّعى الإمامة لنفسه، وأظهر الخلاف على جعفر بن محمد؟... فأقول: إنّ زيد بن علي خرج على سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا على سبيل المخالفة لابن أخيه جعفر بن محمد عليه السلام، وإنّما وقع الخلاف من جهة الناس، وذلك أنّ زيد بن علي عليه السلام لما خرج ولم يخرج جعفر بن محمد عليه السلام توهم قوم من الشيعة أنّ امتناع جعفر كان للمخالفة، وإنّما كان لضرب من التدبير... والدليل على صحة قولنا قول زيد بن علي: من أراد الجهاد فإليّ، ومن أراد العلم فإلى ابن أخي جعفر، مضافاً لنفي يحيى بن زيد الإمامة عن أبيه[٥٤].

إلاّ أنّ المجلسي أورد بعد ذلك تفسيراً للكافي حول محاججة زيد مع الإمام الباقر عليه السلام[٥٥]، وروى فيها قول زيد: ليس الإمام منّا من جلس في بيته وأرخى ستره وثبط عن الجهاد، ولكن الإمام منّا من منع حوزته وجاهد في سبيل الله حق جهاده ودفع عن رعيته وذبّ عن حريمه[٥٦].

وكان ردّ الباقر عليه السلام على هذا الكلام من جهتين:

الأُولى: ليس كل الأعمال فريضة واجبة، بل الفرائض في الدين واضحة ومعينة.

والثانية: ضرورة الأخذ بظروف الزمان والمكان ومدى ضمان التأثير في العمل المزمع تنفيذه[٥٧].

يلاحظ في هذه الرواية وجود خلاف فكري بين الإمام وزيد لا مناص من تأييده، لكن الرواية مرسلة وفي سندها الحسين بن الجارود وموسى بن بكر وكلاهما

مجهولان(٥٨).

بعد نقل هذه النصوص يخلص المجلسي إلى القول: بأن الأخبار اختلفت وتعارضت في أحوال زيد وأضرابه كما عرفت، لكن الأخبار الدالة على جلالة زيد ومدحه، وعدم كونه مدعياً لغير الحق أكثر، وقد حكم أكثر الأصحاب بعلو شأنه، فالمناسب حسن الظن وعدم القدح فيه(٥٩).

إذن، فحكم المجلسي مؤيد لزيد أما بتأويل الروايات الذامة له أو طرحها، بل إنه قال فيه: مأذون من جانب الإمام سراً(٦٠). والحقيقة أن المجلسي استند في رأيه هذا إلى غالبية الروايات المرجحة لكفة المدح قبال روايات الذم. وقد ساهم مذهب المجلسي في زيد في توجيه بعض القراءات الحديثة لمفهوم الثورة في الإسلام والتشيّع، الأمر الذي قاد البعض إلى الجمع بين الروايات المذكورة، فقالوا في ذلك إنّ هدف الإمام الصادق وزيد واحد هو الإصلاح في المجتمع، لكنهما عملا بنموذجين للحفاظ على الإمامة واستقطاب أكبر عدد ممكن من الناس، فظاهرهما يوحي بانفصالهما، والواقع اتحادهما في الرؤية(٦١).

ويمكن القول بأن عدم عصمة زيد قد تقوده إلى الخطأ في بادئ الأمر، فصار أسيراً للأحاسيس الآنية فنبهه كلام الإمام الباقر والصادقعليهما السلام، لذا يمكن تصنيف الروايات المتعارضة في قسمين:

الأولى: دالة على المرحلة الأُولى من حياة زيد.

والثانية: على المرحلة الثانية، وهي مرحلة إيمانه الراسخ ودعمه للإمامة. وهذا التفسير لم يذكره المجلسي وورد في كتب المتأخرين(٦٢).

ويمكن أن تكون روايات القدح صادرة بموجب التقية وحسب، أو أن تكون مما وضعه بنو أُمية والعباسيون لتشويه الحركات العلوية آنذاك(٦٣).

إنّ مجموع الحوادث التي شهدتها العقود الثلاثة الأُولى من القرن الثاني أفرزت لنا نظريتين بين الشيعة، حيث ذهب جماعة منهم إلى القول بعدم اعتقاد زيد بإمامة الباقر والصادقعليهما السلام، وقدموا في ذلك توثيقهم الروائي وأدلتهم التاريخية(٦٤). وهؤلاء على نحوين: منهم الإمامية الذين قالوا بإمامة الأئمةعليهم السلام ونفي إمامة زيد، وآخرون

قالوا بإمامة زيد ورفضوا إمامة الأئمة الاثني عشر وهم الزيدية.

أما النظرية الأُخرى فتستند إلى القول باعتقاد زيد الباطني بالإمامة وسائر الأئمة، لكن التقية كانت تفرض عليه أحياناً إظهار مخالفته لمنهجهم عليهم السلام، وهذا ما يفسر التعارض الوارد في بعض الروايات المنقولة. ولهذا الاتجاه تأييد واسع بين علماء الإمامية كالعلاّمة المجلسي، ويمكن استنباط رأيه هذا من خلال طريقته لجمع روايات زيد وتحليلها.

لقد حدد المجلسي في بحاره الأُصول الكلامية التي أدت إلى انفصال الزيدية عن الإمامية. ويمكن اتخاذ النصوص الواردة في البحار مصدراً في دراسة الأُطر الاجتماعية والتاريخية والمعرفية لواحد من أهم المنعطفات السياسية في تاريخ التشيع أعني تأسس الزيدية.

يذكر أن ما هو قائم بين مذهب التسنن والتشيع من تقريب ليس له وجود بين فرق الشيعة نفسها، ولم نعد نعهد دوراً فعالاً للمجمع العالمي لأهل البيت بهذا الخصوص وهو المعني بهكذا مسؤوليات.

ختاماً، نذكّر بأن مقالنا لم يكن بصدد لحاظ جميع الأبعاد التاريخية للزيدية والإمامية، وإنّما جاء رصده لجانب من تلك السجالات التاريخية بالرجوع إلى كتاب بحار الأنوار، وهي محاولة لرأب الصدع بين الفرقتين من خلال الوثائق التاريخية وروايات المعصومين عليهم السلام.

❊ ❊ ❊

الهوامش

(١) بحار الأنوار ٤٦: ١٥٥، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣.

(٢) أُنظر: تاريخ البيهقي، علي بن زيد البيهقي:١٩٤، مكتبة فروغي ـ طهران؛ تاريخ طبرستان، ابن إسفنديار :٢٢٤ـ ٢٧٠، منشورات پديده ـ طهران ١٣٦٦ هـ. شمسي؛جنبش زيدية در إيران(حركة الزيدية في إيران)،عبد الرفيع حقيقت، نشرفلسفة ـ طهران ١٣٦٣ هـ.ش ؛ أخبار الأئمة الزيدية في طبرستان والديلم

وجيلان، تحقيق ويلفرد مادلونج، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ـ بيروت ١٩٨٧.

(٣) راجع في آراء علماء الشيعة في زيد بن علي كتاب شخصيت وقيام زيد بن علي(شخصية ونهضة زيد بن علي)، السيد أبو الفضل رضوي الأردكاني:٤٦٩ ـ ٥١٠ و٥١٩ ـ ٥٢٠.

(٤) صدر مؤخراً كتاب بعنوان تعليقات على الإمامة عند الاثني عشرية لعبدالله محمد إسماعيل، عمان ١٤١٩هـ جمع فيه بين آراء علماء الإمامية في الزيدية وبين ردود الزيدية عليها.

(٥) بحار الأنوار ٤٦ :١٥٥ ـ ٢٠٩.

(٦) أنظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ١٣: ٩٤٤٣ ـ ٩٤٤٧؛ وقد نقل المجلسي جل أخبار زيد بن علي في باب أحوال أولاد الإمام السجاد، مضافاً لما ورد في باب حياة الصادق والكاظم والرضا، وباب الخمس أيضاً.

(٧) أُنظر: تاريخ التراث العربي ـ الفقه، فؤاد سزگين:٣٢٥ ـ ٣٢٦

(٨) هناك روايات عديدة حول تاريخ استشهاده منها ما جاء في الحديث ٤٨ من بحار الأنوار ٤٦ :١٨٣ ـ ١٨٤؛ وكتب التاريخ كتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٩) تاريخ التراث العربي ـ الفقه:٣٢١ ـ ٣٢٢.

(١٠) فرهنگ فرق إسلامي(معجم الفرق الإسلامية)، محمد جواد مشكور: ٢١٧، مؤسسة الدراسات الإسلامية ـ مشهد ١٣٧٥هـ. ش.

(١١) من قبيل: «باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في زيد» عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٤٨.

(١٢) بحار الأنوار ٤٦: ١٦٨ ـ ١٦٩، الحديث ١٤.

(١٣) المصدر السابق: ١٧٠، الحديث ١٧؛ كذلك ص١٩٤، الحديث ٦٤.

(١٤) المصدر السابق: ١٧٠ ـ ١٧١، الحديث ١٩.

(١٥) المصدر السابق: ١٨٦، الحديث ٥٢.

(١٦) المصدر السابق: ١٧٤، الحديث ٢٧.

(١٧) المصدر السابق: ١٧١، الحديث ٢٠، وقد شبه الحديث ٢٨ استشهاد زيد باستشهاد الإمام عليٍّ والحسن والحسين عليهم السلام.

(١٨) المصدر السابق: ١٦٨، الحديث ١٢.

(١٩) المصدر السابق: ١٧٢، الحديث ٢٢.

(٢٠) المصدر السابق: ١٨٣، الحديث ٤٨.

(٢١) المصدر السابق: ١٧٣و ١٧٤، الحديث ٢٦.

(٢٢) المصدر السابق: ١٨٥، الحديث ٥١.

(٢٣) المصدر السابق: ١٩٦ الحديث ٦٨.

(٢٤) المصدر السابق: ١٧٢، الحديث ٢١.

(٢٥) المصدر السابق: ١٨٢، الحديث ٤٦.

(٢٦) المصدر السابق: ١٧٠، الحديث ١٨.

(٢٧) المصدر السابق: ١٨٧، الحديث ٥٢.

(٢٨) شخصيت وقيام زيد بن علي، مصدر سابق:٤٩٠.

(٢٩) بحار الأنوار ٤٦: ١٨١، الحديث ٤٢.

(٣٠) المصدر السابق: ١٨٦، الحديث ٥٢.

(٣١) دراسة في ولاية الفقيه ١: ٢١٣.

(٣٢) شخصيت وقيام زيد بن علي:٤٩١.

(٣٣) بحار الأنوار ٤٦: ١٧٠، الحديث ١٦.

(٣٤) المصدر السابق: ١٧١، الحديث ٢٠.

(٣٥) المصدر السابق:١٩٣، الحديث ٦٠.

(٣٦) المصدر السابق: ١٩٣ ـ ١٩٤، الحديث ٩٦.

(٣٧) المصدر السابق: ١٧٣، الحديث ٢٤.

(٣٨) الحقوق، زيد الشهيد، تحقيق محمد رضا الحسيني الجلالي، مجلة علوم الحديث السنة الثالثة ١٤٢٠هـ العدد ٦، ص٢٥٣.

(٣٩) بحار الأنوار ٤٦: ١٩٨، الحديث ٧٢.

(٤٠) المصدر السابق: ١٧٤، الحديث ٢٧.

(٤١) المصدر السابق نفسه.

(٤٢) وقد ذكر الشيخ المفيد هذا الموضوع في الإرشاد: ١٥٢.

(٤٣) بحار الأنوار ٤٦: ١٨٦ و١٨٧، الحديث ٥٢.

(٤٤) المصدر السابق: ١٩٠، الحديث ٥٤.

(٤٥) للاطلاع على آراء الزيدية في مبحث الإمامة راجع: الأساس لعقائد الأكياس، قاسم بن محمد: ١٥٢ـ ١٥٦، مكتبة التراث الإسلامي ـ صعدة ١٤١٥هـ؛البحر الزخّار، أحمد بن يحيى المرتضى ٥: ٣٨٢ ـ ٣٨٤، دار الحكمة اليمانية ـ صنعاء١٤٠٩هـ؛ الزيدية، الصاحب بن عباد: ١١ـ ١٣، الدار العربية للموسوعات ـ بيروت ١٩٨٦؛ الملل والنحل، الشهرستاني ١: ١٤٥ـ ١٥٨، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠٢هـ.

(٤٦) بحار الأنوار ٤٦: ١٩٤ ـ ١٩٥، الحديث ٦٧.

(٤٧) المصدر السابق: ١٩٥ و١٩٦.

(٤٨) المصدر السابق: ١٩٧، الحديث ٦٩، وأيضاً ص٢٠٠، الحديث ٧٢، وص٢٠١ الحديث ٧٥.

(٤٩) من قبيل ما ورد في الحديث ٧١، ص١٩٧ من المصدر السابق.

(٥٠) المصدر السابق: ١٩٤، الحديث ٦٤.

(٥١) المصدر السابق: الحديث ٩٥.

(٥٢) كما ورد في ص١٩٧، الحديث ٧٠ من المصدر السابق.

(٥٣) أُنظر: الكافي ١: ٣٥٨ و٨: ٣٦٣ ـ ٣٦٤؛ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار:١٥٦ و١٦٠؛ الغيبة: ١١٩.

(٥٤) بحار الأنوار ٤٦: ١٩٩، ذيل الحديث ٧٢.

(٥٥) الكافي، كتاب الحجة ١: ٣٥٦، الحديث ١٦.

(٥٦) بحار الأنوار ٤٦: ٢٠٣ و٢٠٤.

(٥٧) المصدر السابق:٢٠٤ و ٢٠٥.

(٥٨) دراسات في ولاية الفقيه ١: ٢١٥.

(٥٩) بحار الأنوار ٤٦: ٢٠٥.

(٦٠) مرآة العقول ١: ٤٦٩.

(٦١) دراسات في ولاية الفقيه ١: ٢٠٧.

(٦٢) المصدر السابق: ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٦٣) شخصيت وقيام زيد بن علي، مصدر سابق:٤٩١.

(٦٤) أُنظر: زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت عليهم السلام، الشيخ نوري حاتم:١٩٢ ـ ٢٠١.